

أساطير وحكايات

بئر الأماني

دار القلم
بيروت - لبنان

أساطير وحكايات

بئر الأماني

تأليف: محمد عبد الحميد الطرزي



دار القلم
بيروت - لبنان

خرج فريد متكئاً على عكازيه بعد أن انصرف شقيقه مع نفر من أصدقائه إلى النهر ليصطادوا السمك... لم يحاول أن يطلب منه أخذه معهم فإنه معوق وسوف يكون عالة على شقيقه وهذا قد يسبب له ضيقاً وله أيضاً...



شاهدته أمه خارجاً فسألته وقلبها ينفطر ألماً:

- إلى أين يا فريد؟.

أجابها بصوت خافت وكأنه خجل:

- سأذهب إلى البئر يا أماه...

أجابته بحنان:

- إلى بئر الأماني، يا ولدي هل لا زلت تصدق هذه الخرافة... منذ سنتين وأنت تذهب كل يوم إلى هناك وتتمنى وتطلب فهل تحقق لك شيء مما تمنيت؟.

نظر إليها بألم وقال:

- إنها رياضتي الوحيدة يا أماه فإن شئت أن أبقى بقيت...

عصر قلب الأم الألم وقالت:

- إذهب يا ولدي فلن أحرمك من نزهتك ولكن سر على مهل حتى لا تقع...



واصل فريد طريقه بين دروب الغابة حتى وصل إلى مكان البئر. . . جلس لاهثاً ليلتقط أنفاسه ولكنه لم يضيع الوقت سدى. . . مد يده في جيب سرواله وأخرج الخبز وقطعة الجبن التي ذودته بها أمه في الصباح ليأكلها عندما يشعر بالجوع. . .

أمسك بالخبز وأخذ يقطعه قطعاً متناهية في الصغر حتى ملأ بها كفه ثم نظر إلى شجرة تطل أغصانها على البئر ونادى:

ـ أين أنت يا صديقتي العزيزة؟. .

أجابته زقزقة عصفور برزت بعدها عصفورة صغيرة ما أن رأته حتى رفرفت بجناحيها فرحاً وطارت حتى حطت أمامه. . .



إبتسم لها فريد وقال:

ـ لقد تأخرت قليلاً فأنا آسف لك يا عزيزتي... إليك الخبز كلي أولاً فلا شك أنك جائعة...

كانت العصفورة تنظر إليه بعينينها الصغيرتين باشفاق وحنان ولم تتحرك من مكانها لتأكل من الخبز الذي وضعه أمامها...

دهش فريد من أمرها وقال:

ـ لماذا لا تأكلين؟ ألست جائعة؟ لقد اعتذرت لك عن تأخري من الحضور... لقد آلمتني ساقي فجلست قليلاً لأستريح...

أطلقت العصفورة زقزقة حانية وتقدمت منه ووقفت مرة أخرى تنظر إليه بتلك النظرة الحانيه...

إزداد استغراب فريد من عزوفها عن تناول طعامها وقال:

ـ ماذا بك يا عصفورتي الصغيرة؟ ألا زلت غاضبة مني...

هزّت العصفورة رأسها الصغير نفياً فقال وقد ازدادت دهشته:

ـ إذن لماذا لا تأكلين؟ إن كنت حقاً لست غاضبة كلي خبزك لدي حديث طويل أريد أن أحدثك به...

لم تتردد العصفورة وأخذت تلتقط فتات الخبز بمنقارها الصغير بسرعة حتى اكتفت وهو يرقبها سعيداً...

قال فريد يسألها:

ـ هل شبعت؟ دعينا إذن نحمل ما تبقى إلى عش النمل...

وجمع الفتات المتبقي وزحف إلى جزع شجرة قريبة وكدسه إلى جوار عش للنمل وعاد إلى مكانه...



بحث عن العصفورة فلم يجدها فدهش وأخذ ينادي عليها ولكن عبثاً فقد اختفت فتألم لذلك ألماً شديداً . . .

وتحامل على عكازيه واقترب من البئر وقال:

- يا بئر الأماني . . . يا بئر الأماني . . . أنا لا زلت بالرغم من دعائي من آلامي أعاني . . . يا بئر الأماني . . . يا بئر الأماني . . . أرجوك أشفيني فقد طال عذابي وألمي يزداد . . . انني أعيش مع وحدتي في واد ويمرح أخي ورفاقي في النهر في واد . . . يا بئر الأماني أرجوك . . .

وجلس يبكي تأثراً حتى توسطت الشمس كبد السماء فأمسك بعكازيه ووقف وقبل أن يبدأ السير نظر للمرة الأخيرة نحو الشجرة عله يرى صديقته قبل أن يعود ولكنه لم يجدها فسار حزيناً وهو يتساءل: ترى أين ذهبت العصفورة؟ ألا زالت غاضبة منه بالرغم من اعتذاره لها؟ .

أما العصفورة الصغيرة فإنها طارت تبحث عن الحمامة الطيبة في كل

مكان حتى عثرت عليها تقف في ظل شجرة كبيرة لتنال بعض الراحة...

قالت لها:

- أيتها الحمامة الطيبة... لقد فتشت عنك طويلاً... أرجوك دليني... أين أجد العلاج الشافي لصديقي فريد؟.

سألتها الحمامة:

- أهو ذلك الفتى المسكين الذي يذهب كل يوم إلى بئر الأماني ويطلب منها الشفاء؟.

أجابتها العصفورة:

- نعم أيتها الحمامة الطيبة... انه هو؟.

قالت الحمامة:

- وجئتني تسأليني عن المكان الذي تجدين فيه العلاج الشافي لحالته؟.

أجابتها العصفورة:

- نعم أيتها الحمامة الطيبة.

سكتت الحمامة قليلاً وقالت:

- دعينا نذهب معاً إلى البطة فقد تساعدك وتدلك على المكان...

وطارتا معاً حتى شاهدتا البطة تسبح في البركة الهادئة ومن حولها بطات صغار..



نادتها الحمامة وقال:

ـ أيتها البطة الحكيمة... هلا تكرمت علينا برد سؤال؟.

سبحت البطة إلى الشاطىء وقالت:

ـ حباً وكرامة يا صديقتي... سليني أجيبك إن كنت أعرف الاجابة.

قصت عليها البطة القصة ففكرت البطة برهة وقالت:

ـ هيا بنا من هنا... سنذهب إلى الأوزة فإنها أكبر حجماً وقد تكون أكثر معرفة مني...

وذهبوا معاً إلى الأوزة وكانت تحتضن بيضها... قالت لها البطة:

ـ أيتها الأوزة الجميلة... هل تساعدينا بعلمك الواسع في مساعدة العصفورة الصغيرة؟.



وقصت عليها القصة فقالت الأوزة:

ـ إذهبي إذن إلى مالك الحزين واشرحي له قضيتك فلديه ستجدين الرد على السؤال. . .

طارت البطة والحمامة ومعهما العصفورة حتى شاهدن مالك الحزين بساقيه الطويلين يخطر في الماء الضحل ويلتقط الأسماك الصغيرة. .

قالت له البطة:

ـ أيها الطيب مالك الحزين!.

نظر إليها بهدوء وقال:

ـ أهلاً بالبطة العزيزة. . .

قالت البطة:

ـ معي صديقتي الحمامة والعصفورة...

أجابها مرحباً:

ـ أهلاً بكن جميعاً؟ أي خدمة يمكنني أن أقدمها لكن؟.

قصت عليه العصفورة القصة وعينها دامعة تأثراً... أجابها مالك الحزين:

ـ منذ متى يذهب صديقك المسكين إلى بئر الأماني ويطلب منها الشفاء؟.

أجابته العصفورة:

ـ أخبرتني أمي أنها كانت في مثل سني عندما شاهدته لأول مرة...

قال مالك الحزين:

ـ ولم تستجب له بئر الأماني؟.

أجابته العصفورة بصوت باكي:

ـ لا... أنه لا زال على حاله... أرجوك ساعدني ودلني أين أجد العلاج الشافي لحالته؟.

فكر مالك الحزين برهة ثم قال:

ـ إرجعي إلى عشك أيتها العصفورة ومتى جاء في الغد سأكون بانتظاره لأدله على المكان الذي يجد فيه علاجه...

شكرته وطرن فرحات سعيدات وعادت كل من البطة والحمامة إلى حيث كانتا وواصلت العصفورة طيرانها حتى وصلت إلى العش وهي تكاد تطير فرحاً...

سألتها أمها:

ـ أين كنت كل هذا الوقت؟.

قصت عليها العصفورة قصتها فقالت أمها:

ـ لماذا لم تخبريه بذلك قبل ذهابك؟.. ظل المسكين وقتاً طويلاً ينادي عليك وانصرف عائداً إلى منزله وهو حزين كسير القلب...

بكت العصفورة الصغيرة وقالت:

ـ لم أعد أطيق رؤيته والحزن يعتصره والألم يعصف به..

وسكتت العصفورة برهة ثم سألت أمها قائلة:

ـ أماه... لماذا يتمتع باقي الأطفال بكامل صحتهم علماً بأنهم ليسوا طيبين كصديقي فريد؟.

أجابتها أمها:

ـ لا زلت صغيرة لتعرفي... بعد عام وقبل أن تصبحي أماً مثلي سأخبرك لماذا...

* * *

أمضى فريد ليلته أرقاً مسهداً بعد أن عاد من رحلته إلى بئر الأماني دون أن يودع صديقته العصفورة كعادته كل يوم وأخذ يسأل نفسه ترى ماذا جرى لها؟.. وزاد من ألمه وإسراعه بالذهاب إلى فراشه مشاهدته لشقيقه قادماً في نفر من رفاقه بعد أن عادوا من النهر كان يحمل قدراً كبيراً من الأسماك التي اصطادها وملأ المنزل ضجيجاً وهو يقص على أمه كيف بذ كل رفاقه وكان أكثرهم صيداً.

سأله فريد عندما لحق به إلى غرفته ليريه ما اصطاد:



ـ أخي. . . لماذا لا تأخذني معك إلى النهر؟. . . يمكنني أن أصطاد مثلكم ولو علمت أنكم ذاهبون للصيد ما رفضت الذهاب معكم.

نظر إليه شقيقه وقال:

ـ ولكنك لن تستطيع الصيد يا فريد؟.

سأله:

ـ ولماذا؟. . . إن يدايّ قويتان وأستطيع وأنا جالس أن أصطاد مثلكم.

أجابه شقيقه:

ـ ولكن السمك لا يوجد في مكان واحد. . . يجب أن تنتقل من مكان إلى مكان حتى تجد المكان الملائم فكيف تنتقل وأنت تسير بصعوبة على عكازيك؟.

حزّت إجابته في نفسه فبكى في صمت وأمضى الليل يتقلب وقد جفاه النوم لشدة ما يحس من ألم. . .

وفي الصباح سار بعكازيه إلى حيث جلست أمه تخبز العيش وقال:

ـ أماه. . سأذهب إلى البئر وستكون المرة الأخيرة التي أذهب فيها إلى هناك.

نظرت إليه أمه بدهشة وسألته:

ـ ولماذا ستكون مرتك الأخيرة؟.

أجابها:

ـ لأنني لم أعد أؤمن بخرافة البئر هذه.. . لا بد أن أعتمد على نفسي وأرضى بحالتي.

قالت أمه بحنان:

ـ إذن لماذا تذهب اليوم؟ إبقى ولا داعي لإرهاق نفسك بالذهاب والعودة. . .

أجابها:

ـ سأذهب لأودع صديقتي العصفورة وأدعوها لتزرني هنا كما أن عش النمل سيتفقدني بعد أن اعتاد أن أزوده بالطعام كل يوم.

هزت الأم رأسها باستسلام وقالت:

ـ إذهب يا ولدي أرجو لك السلامة. .

وسار فريد يدب على عكازيه حتى وصل إلى البئر فوجد مالك الحزين واقفاً بالقرب منها فوجف قلبه خوفاً على العصفورة. . .

قال فريد بقلق:

ـ أنت مالك الحزين. . . أليس كذلك؟.

أجابه مالك الحزين بصوت هادىء:



ـ نعم أنا هو. . .

سأله وهو ينظر إلى الشجرة:

ـ ولماذا جئت إلى هنا وعهدنا بك لا تفارق البرك والأنهار؟.

أجابه مالك الحزين:

ـ جئت بناءاً على رجاء من صديقتك العصفورة.

دهش فريد وسأله:

ـ صديقتي العصفورة؟.. أين هي؟... ولماذا ترجوك لتحضر من أجلي؟..

أجابه مالك الحزين:

ـ إستمع إلى ما أقول يا فريد وبعدها سل ما شئت... منذ متى وأنت تحضر إلى هذه البئر وتطلب منها الشفاء؟.

أجابه فريد:

ـ منذ سنتين وأنا أحضر إلى هنا كل يوم..

قال مالك الحزين:

ـ لماذا لم تشفى إذن؟.

أجابه فريد:

ـ لست أدري لذلك قررت عدم الحضور بعد اليوم وما جئت في يومي هذا إلا لأودع صديقتي العصفورة.

قال مالك الحزين:

ـ كأنك يئست من الشفاء بعد أن ظللت تطلبه من البئر سنتين؟.

أجابه فريد ودموعه تتساقط:

ـ نعم. . . لقد يئست ولم أعد أصدق أن البئر يمكن أن تشفيني. . .
قال مالك الحزين:

ـ كان يجب أن تعرف هذه الحقيقة منذ اليوم الأول. . . انها بئر كأي بئر أخرى أوجدها خالقك وخالقي لنشرب ماء ويسقى الزرع. . .

نظر إليه فريد وقال:
ـ أتعني ان الله هو الذي أوجدها؟. . .
أجابه مالك الحزين:

ـ كما أوجدها خلقك وخلق كل شيء في هذه الدنيا. . .
قال فريد:

ـ أعلم هذا. . . قالته لي أمي. . .
قال مالك الحزين:

ـ لذلك عاقبك الله ولم يكتب لك الشفاء يا فريد.
دهش فريد وسأله:

ـ ولماذا يعاقبني الله وأنا أحبه ولم أفعل ما يغضبه؟.
أجابه مالك الحزين:

ـ لأنك لم تدعوه هو وتطلب منه الشفاء وجئت تنشده من جماد لا حول له ولا قوة. . . لو أنك سألت الله الشفاء وأنت فتى طيبّ محبوب ما ضنّ عليك به. . . لذلك اذهب وادعو ربك واسأله الشفاء وعد إلى هنا بعد شهر لتخبرني بما تمّ.



ومرّ شهر وفريد يسأل ربه صباح ومساء أن يشفيه ويرفع عنه المرض وذات صباح استفاق من نومه كعادته فوجد ساقيه وقد عادت إليهما القدرة على الحركة فلما حاول أن يقف وقف بسهولة فأسرع يعدو إلى أمه يزف إليها بشرى شفائه . . .

وبعد أن تلقى تهنئة أمه وشقيقه ذهب مسرعاً إلى البئر فوجد مالك الحزين في انتظاره والعصفورة على الغصن تغني بفرح . . .

قال ودموع الفرح تطفر من عينه :

ـ شكراً لك يا مالك الحزين . . . شكراً لك . . .



أجابه مالك الحزين:

ـ هل ستعود إلى الخطأ مرة أخرى؟ الشكر لله وحده يا فريد فلا تنسى أن تشكره هو وتسبّح بحمده فهو الشافي العافي القادر على كل شيء...

تمت

الرسوم والإخراج: عبد الرحمن القاروط

صدر من أساطير وحكايات

- مالك الحزين والبلبل المسكين
- زارع الشر يحصده
- الراعي العجوز والملكة نفوس
- الأصيل والخسيس
- معروف وشقيقه متلوف
- مرآة الساحرة
- تاجر الكلام وابنة الإمام
- بئر الأماني
- العفريت الأعمى
- نصيحة الديك
- بدور والكلب الأعرج
- غندور والطائر المسحور
- قاطش وباطش وظاطش
- العفريت باطش والسلطان قادش
- الشحاذ والعفريت ظاطش
- زهران والمارد الغضبان
- يا ليل يا عين
- ملك الجان والعراف
- وهمان الجن صديق الانسان
- العصفور الأزرق واليتيم

تصدر عن دار القلم - بيروت - لبنان - ص.ب: ٣٨٧٤ - تلكس: ٤٢٣٨٩ - برقيا: قلمطاب - هاتف: ٢٧٢٠٢٠

الثمن: ٦ ليرات لبنانية أو ما يعادلها